ورغم أن سعيد حاكم مصر منح شبرد أرض مقر مدرسة الألسن وكانت في السابق مقرا لكليبر قائد الحملة الفرنسية ومسرح اغتياله على يد سليمان الحلبي، أي منحه أرضا وتاريخا في واحد إلا أن برد متأثرا على ما يبدو بالرسوم الشائعة في زمانه لفندق شبرد اللاحق والتي يظهر المصريون فيها دائما في صورة ترجمان يقف بباب الفندق يفرك يديه في انتظار البقشيش، لم يستطع أن يرى في منحة الكلبين سوى بقشيش تكرَّم به جده على سعيد باشا!

نترك شبرد وحفيده لنعود إلى الفندق: ازدهر واتسعت أشغاله، وتعاقد شبرد مع مراكب تحمل الزائرين إلى الصعيد لرؤية آثار مصر القديمة. لم يمتد به العمر ليرى الفندق الآخر الأحدث والأكبر والأكثر بذخا وشهرة والذي ارتاده جيلان من الجنود البريطانيين والنخبة الحاكمة الأوروبية والمصرية أيضا، ولا عرف بالتنسيق بين الفندق وشركة كوكس. ولو أردنا على سبيل اللعب وإعمال الخيال أن نقفز مائة عام للأمام فنشهد لقاء غريبا وطريفا يجمع بين جياكومو جروبي، وشارل بهلر وصمويل شبرد، أرواح ثلاثة مستقرة أو هائمة في ملكوت الله تجتمع على همها المشترك بعد الحريق في يناير ١٩٥٢. بإمكاننا تخيل الإيطالي والسويسري يخبران الإنجليزي بما حل بمنشآتهم وهو يكذّبهم ويؤكد لهم أنهما مخطئان؛ لأن فندقه لا يقع في المكان الذي يصفانه، بل في الأزبكية بعيدا عن موقع الحريق، وأنه لا وجود لشركة سياحية باسم كوكس لها مكاتب في فندقه، وليس لديه أدنى معرفة بذلك السويسري المتحدث بالفرنسية الذي يدعي أنه مدير الفندق، وأنهما لا بد يتحدثان عن بلد غير مصر!

دونت ملحوظاتي الهزلية والجادة في دفتر مسوداتي، أغلقته استعدادا لمغادرة المكتبة ثم عنَّ لي أن أبحث مرة أخرى في الفهارس. لم ينقض وقت طويل بين معرفتي بوجود الكتاب وحصولي عليه وما يترتب على ذلك من شطح الخيال والتوقع. بعد دقائق كان الكتاب بين يدي. عنوانه «فندق شبرد». إذن عين المراد! مرة أخرى خيب الكتاب ظني فالسيدة مؤلفة الكتاب، وهي